١١- الرضا بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ

للعبد فيما يكره درجتان: درجة الرضى، ودرجة الصبر، فالرضا فضل مندوب إليه، والصبر واجب على المؤمن حتم.

وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعروا بالألم، وهذا يصل إليه خواص أهل المعرفة والمحبة، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره من حبيبهم.

والفرق بين الرضى والصبر: أن الصبر حبس النفس وكفها عن السخط - مع وجود الألم - وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك زوال الألم - وإن وجد الإحساس بالألم - لكن الرضى يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله - تعالى - بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط».

وقال علقمة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.

وقال النبي ﷺ: «ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا ومحمد رسولا»(١).

وقال النبي ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا غفرت ذنوبه»(٢).

ونظرَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عديّ بن حاتم كئيبًا، فقال: مالي أراك كئيبًا حزينًا؟ فقال: وما يمنعني وقد قتل ابناي وفقئت عيني، فقال: يا عديّ من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرضَ بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله.

دخل أبو الدرداء رضي الله عنه على رجل يموت وهو يحمد الله فقال أبو الدرداء: أصبت إن الله عز وجل إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به.

وقال أبو معاوية في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] الرضا والقناعة.

قال الحسن: «من رضي بما قسم له وسِعه وبارك الله فيه، ومن لم يرض لم يسعه، ولم يبارك له فيه».

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٢) «الإيمان»، والترمذي (١٠/ ٩١) «الإيمان»، قال صاحب التجويد: معنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله - تعالى - ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولاشك أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه.
وقال القاضي عياض: معنى الحديث: صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه لأن من رضي أمرًا سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله - تعالى - ولذت له والله أعلم.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٨٦) «الصلاة»، وأبو داود [٥٢١] «الصلاة»، والترمذي (٢/ ١١، ١٢).

وقال عمر بن عبد العزيز: «ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر»، وقيل له: ما تشتهي؟ فقال: «ما يقضي الله عَزَّوَجَلَّ».

وقال عبد الواحد بن زيد: «الرضا بابُ الله الأعظم، وجنةُ الدنيا، ومستراح العابدين».

وقال بعضهم: «لن يُرى في الآخرة أرفع درجات من الراضين عن الله - تعالى - في كل حال، فمن وهب له الرضا فقد تبلَّغ أفضل الدرجات».

وأصبح أعرابي وقد ماتت له أباعر (جمع بعير) كثيرة فقال:

لا والذي أنا عبدٌ في عبادته ... لولا شماتةُ أعداء ذوي إِحن

ما سرني أنَّ إِبلي في مَبَاركها ... وأنَّ شيئًا قضاه الله لم يكن

١٢- الخوف والرجاء

الخوف والرجاء جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفًا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفًا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلابد إذًا من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبل التوصل إلى الجمع بينهما والله الموفق للخيرات الهادي لأعلى الدرجات.

(أ) الرجاء

هو ارتياح القلب؛ لانتظار ما هو محبوب عنده.

وإذا كانت الأسباب غير موجودة فاسم الغرور والحمق عليه أصدق، وإذا كان الأمر مقطوعًا به فلا يسمى رجاء إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس، ولن يمكن أن يقال: أرجو نزول المطر.

وقد علم علماء القلوب: أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذور فيها، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار وسياقه الماء إليها.

والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر، ويوم القيامة هو الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو بذر إلا من بذر الإيمان، وقلّما ينفع إيمان مع خبث القلب، وسوء أخلاقه، وكما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضًا طيبة، وألقى فيها بذرًا طيبًا غير عفن ولا مسوس ثم أمدّه بما يحتاج إليه في أوقاته، ثم نقى الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذرة أو يفسده، ثم جلس منتظرًا من فضل الله - تعالى-

دفع الصواعق والآفات المفسدة، إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، سُمّي انتظاره رجاءًا، وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا يصل إليها الماء، ولم يشتغل بتعهد البذر أصلًا ثم انتظر الحصاد منه، سُمي انتظاره حمقًا وغرورًا لا رجاءًا.

فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختيار العبد، وهو فضل الله - تعالى - بصرف القواطع والمفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهّر قلبه من شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله - تعالى - تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاءًا حقيقيًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٨].

يعني أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء؛ لأن غيرهم أيضًا قد يرجو ولكن خصّص بهم استحقاق الرجاء.

ومن كان رجاؤه هاديًا له إلى الطاعة، زاجرًا له عن المعصية، فهو رجاء صحيح، ومن كان رجاؤه داعيًا له إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور.

ومما ينبغي أن يُعلم أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور:

الأول- محبة ما يرجوه.

الثاني- خوفه من فواته.

الثالث- سعيه في تحصيله.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأمانيّ، والرجاء شيء والأماني شيء آخر.

وكل راجٍ خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنّ سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(١).

أخبار الرجاء:

الآيات: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

الأحاديث: ما ورد في صحيح مسلم عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديًا أو نصرانيًا**»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبيٌ، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعتْهُ، فقال

(١) رواه الترمذي (١٠/ ٢٢٧) «صفة القيامة»، وقال: حديث حسن غريب، والحاكم (٤/ ٣٠٨) «الرقاق»، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والألباني.
ومعنى أدلج: أي سار من أول الليل، والمعنى: أن من خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفًا من القواطع والعوائق.

(٢) رواه مسلم (١٧/ ٨٥) «التوبة»، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه ما جاءه في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لكل أحدٍ منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار؛ لأنه استحق ذلك بكفره ومعنى فكاكك أنك كنت معرضًا لدخول النار وهذا فكاكك؛ لأن الله - تعالى - قدر للنار عددًا يملؤها فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين، والله أعلم.

رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا والله، فقال: «**الله أرحم بعبده المؤمن من هذه على ولدها**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي**»(٢).

وفي رواية: «**غلبت غضبي**»، وفي رواية: «**سبقت غضبي**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبُك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم، لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»(٣).

قال يحيى بن معاذ: «من أعظم الاغترار عند التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله - تعالى - بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط».

ترجو النجاة ولم تسلكْ مسالِكَها ... إنَّ السفينة لا تجري على اليبس

(ب) الخوف

الخوف: سوط الله يسوق به عباده إلى العلم والعمل لينالوا بهما القرب من الله - تعالى -، وهو عبارة عن: تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، والخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي، ويقيدها بالطاعات.

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٢٦) «الأدب»، ومسلم (١٧/ ٧٠) «التوبة».

(٢) رواه البخاري (١٣/ ٣٨٤) «التوحيد»، ومسلم (١٧/ ٦٨) «التوبة»، والترمذي (٣٦١١ تحفة) «الدعوات».

(٣) تقدم تخريجه.

والخوف القاصر يدعو إلى الغفلة والجرأة على الذنب، والإفراط في الخوف يدعو إلى اليأس والقنوط.

والخوف من الله - تعالى- تارة يكون لمعرفة الله - تعالى-، ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال، ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعًا، أو بحسب معرفته بعيوب نفسه، ومعرفته بجلال الله - تعالى- واستغنائه، وأنه لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، تكون قوة خوفه.

فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال ﷺ: «**والله إنّي لأعلمهم بالله وأشدّهم له خَشية**»(١).

وقيل للإمام الشعبي: يا عالم: قال: إنّما العالم من يخشى الله وذلك لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨].

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار جهلًا».

ولذلك قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه، وقيل لذي النون المصري: متى يكون العبد خائفًا؟ قال: «إذا نزّل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام».

وقال أبو القاسم الحكيم: «من خاف شيئًا هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه».

وقال الفضيل بن عياض: «إذا قيل لك: هل تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت: نعم، كذبت، وإن قلت: لا، كفرت».

والخوف يحرق الشهوات المحرمة فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا، عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سمًّا، فتحرق الشهوات بالخوف، وتتأدب

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥١٣) «الأدب»، ومسلم (١٥/ ١٠٦) «الفضائل»، وأحمد (٦/ ٤٥، ١٨١).

الجوارح، ويحصل في القلب الخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهم بخوفه، والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، والضِنّة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس بالخطرات، والخطوات والكلمات، ويكون حاله حال من وقع في مخلب سبع ضار، لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلك، فيكون بظاهره وباطنه مشغولًا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره، فهذا حال من غلبه الخوف.

فضيلة الخوف:

جمع الله عَزَّوَجَلَّ لأهل الخوف الهدى، والرحمة، والعلم، والرضوان، فقال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالخوف، وجعله شرطًا في الإيمان، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه، بحسب ضعف معرفته وإيمانه.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ رجلًا حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمي، خلصت إلى عظمي فامتحشت، فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يومًا راحًا فأذروه في اليم ففعلوا فجمعه الله فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك. فغفر الله له**»[(١)].

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٩٤) «أحاديث الأنبياء»، ومسلم (١٧/ ٧٠)، والنسائي (٤/ ١١٣) «الجنائز»، وابن ماجه [٣٤٣٢] «الزهد»، وأحمد (٢/ ٢٦٩).

قال ﷺ: **«لا يلج النار أحد يبكي من خشية الله - تعالى - حتى يعود اللبن في الضرع»**[(١)].

قال الفضيل بن عياض: «مَن خاف الله دلّه الخوف على كل خير».

قال الشبلي: «ما خفت الله يومًا إلا رأيت له بابًا من الحكمة والعبرة».

وقال يحيى بن معاذ: «ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها جنتان: خوف العقاب، ورجاء العفو».

وقال الحسن البصري: «إن المؤمنين قوم ذلت منهم - والله - الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وإنهم والله الأصحاء، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الخوف، أما - والله - ما أحزنهم ما أحزن الناس ولا تعاظم في قلوبهم شيء طلبوا به الجنة إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة في غير مطعم أو شرب فقد قلَّ علمه وحضر عذابه».

الأخبار في الخوف:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال: **«لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات»**[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٧/ ١٣٠) «فضائل الجهاد»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (١٢/ ٤) «التفسير» وابن ماجه [٤١٩٨]، والحاكم (٢/ ٣٩٤) «التفسير»، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وفي سنده انقطاع وله شاهد عند ابن جرير، وانظر «جامع الأصول» (٢/ ٢٥٤) وصححه الألباني.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» فغطَّى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوههم ولهم خنين، وفي رواية: بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أصحابه شيء فخطب، فقال: «**عُرِضت عليَّ الجنة والنار فلم أر كاليوم من الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» فما أتى على أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين(١).

ومعنى الحديث: لو أنكم علمتم ما أعلمه من عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، وانتقامه ممن يعصيه، لطال بكاؤكم وحزنكم وخوفكم مما ينتظركم، ولما ضحكتم أصلًا، فالقليل هنا بمعنى المعدوم، وهو مفهوم من السياق.

وروت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا تغيّر الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج، كل ذلك خوفًا من عذاب الله(٢).

وروى عبد الله بن الشخير: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المِرجَل(٣).

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣١٩) «الرقاق»، والترمذي (٩/ ١٩٤) «الزهد».
والخنين: هو البكاء مع غنة بانتشار الصوت من الأنف.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٤٧) «بدء الخلق» بمعناه ومسلم (٦/ ١٩٦) «الاستسقاء».

(٣) رواه أبو داود [٨٩٠] «الصلاة» بلفظ الرحى، والنسائي (٣/ ١٣) «والسهو»، وأحمد (٤/ ٢٥، ٢٦) وصححه الألباني، وقال السيوطي: «أزيز»: أي خنين من الجوف وهو صوت البكاء وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء «كأزيز المرجل»، وهو بالكسر: الإناء الذي يغلي فيه الماء سواء كان من حديد أو صفيح أو حجارة أو خزف - هامش (٣/ ١٣) النسائي.
وقال في «المرقاة»: وفي الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا واستدل على جواز البكاء في الصلاة بقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] «عون المعبود» (٣/ ١٧٣).

ومن تأمل أحوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم من الصالحين من سلف هذه الأمة، وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن.

فهذا الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأ سورة الطور حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الطُّور: ٧] بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو يموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه يرحمني ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر لي - ثلاثًا- ثم قضى، وكان يمر بالآية في ورده بالليل تخيفه فيبقى في البيت أيامًا يعاد يحسبونه مريضًا، وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء.

وقال له ابن عباس: «مصَّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل» فقال: «وددت أن أنجو لا أجر ولا وزر».

وهذا عثمان بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبلّ لحيته، قال: «لو أنني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما أصير لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

وهذا أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت، ما أكلتم طعامًا على شهوة، ولا شربتم شرابًا على شهوة أبدًا، ولا دخلتم بيتًا تستظلون به، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل».

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أسفل عينيه مثل الشراك البالي من كثرة الدموع.

وقال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد سلَّم من صلاة الفجر، وقد علاه كآبة وهو يقلب يده: «لقد رأيت أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أر اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجّدًا وقيامًا يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم، والله فكأني بالقوم باتوا غافلين». ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابن ملجم.

وقال موسى بن مسعود: «كنا إذا جلسنا إلى سفيان كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه».

ووصف أحدهم الحسن فقال: «كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنه أسير أمر بقطع رقبته، وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له».

ورُوي أن زرارة بن أبي أوفى صلّى بالناس الفجر بسورة المدثر، فلمّا قرأ قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨ - ٩] أخذته شهقة فمات.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: «ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده: لو يعلم العِلْمَ أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه».

١٣- التوبة

التوبة من الذنوب بالرجوع إلى ستّار العيوب، وعلّام الغيوب، مبدأُ طريق السالكين، ورأسُ مال الفائزين، وأول إقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين.

ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه، ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان، وخيارَ خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم، وجهادهم، ثم علق الفلاحَ بالتوبة وأتى بكلمة «لعل» إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

فقسم العباد إلى: «تائب» و«ظالم» وليس ثمَّ قسم ثالث، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات أعماله، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله فوالله إني أتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١).

والتوبة هي: رجوعُ العبد إلى الله ومفارقتهُ لصراط المغضوب عليهم والضالين.

وشرائطُ التوبة ثلاثة: إذا كان الذنب في حق الله عَزَّوَجَلَّ.

وهي: «الندم»، و«الإقلاع»، و«العزم على عدم العودة».

---

(١) تقدم تخريجه.

فأما الندم: فإنه لا تتحقق التوبة إلا به إذ مَن لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به وإصراره عليه، وفي المسند: «**الندمُ توبة**»[(١)].

وأما الإقلاعُ: فتستحيل التوبةُ مع مباشرة الذنب.

والشرط الثالث- هو: «**العزم على عدم العودة**»: ويعتمد أساسًا على إخلاص هذا العزم والصدق فيه، وشرَط بعض العلماء عدم معاودة الذنب وقال: متى عاد إليه تبيّنا أن التوبة كانت باطلة غير صحيحة والأكثرون على أن ذلك ليس شرطًا، أما إذا كان الذنب متضمنًا لحق آدمي فعلى التائب أن يصلح ما أفسد، أو يسترضي مَنْ أخطأ في حقه، لما ثبت[(٢)] عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان لأخيه عنده مظلمة من مال، وعِرض، فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات**».

فهذا الذنب يتضمن حقين: حقٌّ لله وحقٌّ لآدمي، فالتوبة منه بتحلل الآدمي لأجل حقه، والندم فيما بينه وبين الله لأجل حقه.

وهناك بعض التوبات الخاصة نذكر منها بعون الله - تعالى - ما يلي: إذا كانت المظلمة بقدح في الآدمي بِغِيبة، أو بقذف، فهل يُشتَرط إعلامُه؟

مذهبُ أبي حنيفة، ومالك اشترطوا الإعلام، واحتجوا بالحديث السابق، والقول الآخر: أنه لا يشترط الإعلام، بل يكفي توبته بينه وبين الله، وأن يذكر المغتاب، أو المقذوف في مواضع غيبته، أو قذفه بضد ما ذكره به، ويستغفر له، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، احتج لذلك بأن إعلامه مفسدة مَحْضَة لا تتضمن مصلحة، وما كان هكذا فإن الشارع لا يبيحه فضلًا عن أن يوجبه أو يأمر به.

أما توبة من اغتصب مالًا فعليه ردُّ هذا المال إلى أصحابه، فإن تعذر عليه ردُّه لجهله بأصحابه، أو لانقراضهم، أو لغير ذلك فعليه أن يتصدق بتلك الأموال عن أربابها،

(١) رواه أحمد (١/ ٣٧٦)، والحاكم (٤/ ٢٤٣) وصححه، ووافقه الذهبي.
(٢) رواه البخاري (٥/ ١٠١) «المظالم»، والترمذي (٩/ ٢٥٤) «صفة القيامة».

فإذا كان يوم استيفاء الحقوق كان له الخيارُ بين أن يُجيزوا ما فعل، وتكون أجورها لهم، وبين ألا يُجيزوا ويأخذوا من حسناته بقدر أحوالهم ويكون ثواب تلك الصدقة له إذ لا يُبطِل الله - سبحانه - ثوابها.

فقد رُوي أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشترى من رجل جارية ودخل يزن له الثمن فذهب ربّ الجارية فانتظره حتى يئس من عودته فتصدق بالثمن، وقال: اللهم هذا عن رب الجارية، فإن رضي فالأجر له وإن أبَى فالأجر لي وله من حسناتي بقدره.

وأما توبة من عاوض غيره معاوضةً محرَّمة وقبض العِوَض كبائع الخمر والمغنِّي وشاهد الزور ثم تاب والعوضُ بيده: فقالت طائفة: يرده إلى مالكه إذ هو عينُ ماله، ولم يقبضه بإذن الشارع ولا حصل لربه في مقابلته نفعٌ مباح، وقالت طائفة - بل وهو أصوب القولين -: بل توبته بالتصدق به وكيف يرد إلى دافعه مالًا استعان به على معاصي الله؟ وهكذا توبة مَن اختلط مالهُ الحلالُ بالحرام وتعذر عليه تمييزُه أن يتصدق بقدر الحرام ويُطيّب باقي ماله والله أعلم.

مسألة: إذا تاب العبد من الذنب هل يرجع إلى ما كان عليه قبل الذنب من الدرجة التي حَطّه عنها الذنبُ أو لا يرجع إليها؟

قالت طائفة: يرجع إلى درجته؛ لأن التوبة تَجُبُّ الذنب بالكلية وتُصَيِّره كأن لم يكن.

وقالت أخرى: لا يعود إلى درجته وحاله؛ لأنه لم يكن في وقوف، وإنما كان في صعود، فبالذنب صار في هبوط، فإذا تاب نقص عليه ذلك القدر الذي كان مستعدًا به للترقي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصحيح: أن من التائبين مَن لا يعود إلى درجته، ومنهم من يعود إلى أعلى منها فيصير خيرًا مما كان قبل الذنب، وكان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة، وهنا مَثَلٌ مضروب: رجل مسافر سائر على الطريق بطمأنينة وأمْن فهو يعدو مرة ويمشي أخرى، ويستريح تارة وينام أخرى فبينما هو كذلك إذ عرض

لـه في سـيره ظِلٌّ ظَليل، وماء بـارد ومَقيل، وروضة مُزْهِرة، فدعته نفسـه إلى النزول على تلـك الأماكـن فنزل عليها، فوثب عليه منها عدو فأخذه وقيده ومنعه عن السـير، فعاين الهلاك وظن أنه منقطع به، وأنه رِزْقُ الوحوش والسِّباع، وأنه قد حيل بينه وبين مقصده الذي يؤمه، فبينما هو على ذلك تتقاذفه الظنون، إذ وقف على رأسـه والده الشـفيق القادر فحـلّ كتافه وقيـوده، وقال له: اركب الطريق واحذر هذا العـدو فإنه على منازل الطريق لـك بالمرصـاد، واعلم أنك مادمت حاذرًا منه متيقظًـا له لا يقدر عليك فإذا غفلت وثب عليك، وأنا متقدمك إلى المنزل وفرط لك فاتبعني على الأثر، فإذا كان هذا السـائر كَيِّسًـا فَطِنًا لَبِيبًا حاضرَ الذِّهْن، والعقل استقبل سيره استقبالًا آخر أقوى من الأول، وأتم واشتد حـذره وتأهب لهذا العدو، وأعدّ له عدته، فكان سريـه الثاني أقوى من الأول وخيرًا منه ووصولـه إلى المنـزل أسرع وإن غفل عن عدوه، وعاد إلى مثـل حاله الأول من غير زيادة ولا نقصان ولا قوة حذر ولا استعداد، عاد كما كان، وهو مُعرض لما عرض له أولًا، وإن أورثه ذلك توانيًا في سـيره وفتورًا، وتذكرًا لطيب مَقيله وحُسْـنِ ذلك الرَّوْضِ أو عذوبة مائه لم يَعُد إلى مثل سيره ونقص عمَّا كان.

التوبة النصوح

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

والنصحُ في التوبة: هو تخليصُها من كل غش ونقص وفساد، قال الحسن البصري: «هي أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مُجْمِعًا على أن لا يعود فيه».

وقال الكلبي: «أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويُمسك بالبدن».

وقال سعيد بن المسيَّب: «توبةً نصوحًا تنصحون بها أنفسكم».

قال ابنُ القيم: «النصحُ في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء».

الأول- تعميم الذنوب واستغراقُها بها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.

الثاني- إجماع العزم والصدق بكلتيه عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوّم ولا انتظار بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

الثالث- تخليصُها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمَحْض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده لا كمن يتوب لحفظ حاجته وحرمته ومنصبه ورياسته أو لحفظ قوته وماله أو استدعاء حَمْد الناس أو الهرب من ذمهم أو لئلا يتسلط عليه السفهاء أو لقضاء نهمته من الدنيا أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عَزَّوَجَلَّ.

فالأول- يتعلق بما يتوب منه، والأوسط- يتعلق بذات التائب، والثالث- يتعلق بمن يتوب إليه، فنُصْحُ التوبة: الصدقُ فيها والإخلاص وتعميم الذنوب بها، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه وتمحو جميع الذنوب وهي أكمل ما يكون من التوبة.

وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها فتوبته بين توبتين من ربه سابقة ولاحقة فإنه تاب عليه:

أولًا- إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبد، فتاب الله عليه.

ثانيًا- قبولًا وإثابة وذلك لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

فأخبر سبحانه: أن توبته عليهم سبقت توبتهم وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سببًا مقتضيًا لتوبتهم وهذا القَدْر من سر اسمَيْه: «الأولُ والآخرُ» فهو المعد والممد ومنه السبب والمسبب، والعبد تواب، والله تواب، فتوبة العبد: رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإمداد.

والتوبة لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها: الرجوع إلى الله بسلوك صراطه المستقيم الذي أمرهم بسلوكه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ونهايتها: الرجوع إليه في المعاد وسلوك صراطه الذي نصبه موصلًا إلى جنته، فمن رجع إلى الله في هذه الدار بالتوبة رجع إليه في المعاد بالثواب، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١].

أسرار التوبة ولطائفها

اعلم أن العبد العاقل إذا صدرت منه الخطيئة فله نظر إلى أمور:

أحدها- أن ينظر إلى أمر الله ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة والإقرار على نفسه بالذنب.

الثاني- أن ينظر إلى الوعد والوعيد فيحدث له ذلك خوفًا وخشية تحمله على التوبة.

الثالث- أن ينظر إلى تمكين الله له منها وتخليته بينه وبينها وتقديرها عليه وأنه لو شاء لعصمه منها فيحدث له ذلك أنواعًا من المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته وحلمه وكرمه، وتوجب له عبودية بهذه الأسماء لا تحصل بدون لوازمها البتة، ويعلم ارتباط الخلق والأمر والوعيد بأسمائه وصفاته وأن ذلك موجب الأسماء والصفات وأثرها في الوجود، وهذا المشهد يطلعه على رياض موفقة من المعارف والإيمان وأسرار القدر والحكمة يضيق عن التعبير عنها نطاق الكلم.

منها: أن يعرف العبد عزته في قضائه، وهو أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء وأنه لكمال عزته حكَم على العبد وقضى عليه بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء وحال بين العبد وقلبه.

ومن معرفة عزته في قضائه أن يعرف أنه مدبّر مقهور ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته ولا توفيق له إلا بمعونته فهو ذليل حقير في قبضة عزيز حميد، ومن شهود عزته في قضائه أن يشهد أن الكمال والحمد والعزة كلها لله وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهودًا لعزة الله وكماله - وحده - وغناه.

ومنها: أن يعلم بره - سبحانه - في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء لفضحه بين خلقه، ومنها مشاهد حلم الله عَزَّوَجَلَّ في إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة فيحدث له معرفة ربه - سبحانه - باسمه «**الحليم**».

ومنها: معرفة فضل الله في مغفرته فإن المغفرة فضل من الله وإلا فلو أخذك بمحض حقه كان عادلًا محمودًا وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك فيوجب له ذلك شكرًا ومحبة وإنابةً ومعرفةً باسمه «**الغفار**».

ومنها: أن يكمل لعبده مراتب الذل والخضوع والانكسار والافتقار وهي أربعة مراتب:

المرتبة الأولى- ذل الحاجة والفقر، وهذه عامة في جميع الخلق.

المرتبة الثانية- ذل الطاعة والعبودية، وهو خاص لأهل طاعته.

المرتبة الثالثة- ذل المحبة فالمحب ذليل بالذات وعلى قدر محبته يكون ذُلّه.

المرتبة الرابعة- ذل المعصية والجناية وحقيقة ذلك هو الفقر.

فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم.

ومنها: أن اسم «**الرَّزَّاق**» يقتضي مرزوقًا، و«**السميع البصير**» يقتضي مسموعًا ومُبْصرًا، كذلك أسماء «**الغفور، العفو، التواب**» يقتضي من يغفر له ويتوب عليه ويعفو عنه، ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات.

وقد أشار إلى هذا أعلم الخلق بالله ﷺ حيث يقول: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم**»(١).

ومن أسرارها: ما ورد في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»(٢).

فما الظن بمحبوب لك تحبه حبًّا شديدًا وأسَرَه عدوُك، وحال بينك وبينه وأنت تعلم أن العدوَّ سيسومُه سوء العذاب ويعرضه لأنواع الهلاك وأنت أولى به منه وهو غرسك وتربيتك ثم إنه انفلت من عدوه ووافاك على غير ميعاد فلم يفاجئك إلا وهو على بابك يتملقك ويترضاك ويمرغ خديه على تراب أعتابك فكيف يكون فرحك به وقد اختصصته لنفسك ورضيته لقربك وآثرته على ما سواه، هذا ولستَ الذي أوجدته وخلقته وأسبغتَ عليه نعمك والله عز وجل هو الذي أوجد عبده وخلقه وأسبغ عليه نعمته وهو يحب أن يتمها عليه.

وإلى هنا انتهى ما تيسر لنا جمعه وترتيبه، والله نسأل أن يكون القبول نصيبه وأن يرزقنا يوم القيامة بره وذخره إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه مسلم (١٧/ ٤٦) «التوبة»، والترمذي (٩/ ٥٢٣) «الدعوات» وهذا لفظ مسلم وانظر طرق الحديث في «الصحيحة» رقم [٩٧٠].

(٢) رواه مسلم (١٧/ ٦٣) «التوبة» واللفظ له، والبخاري مختصرًا (١١/ ١٠٢) «الدعوات».
ورواه مطولًا من حديث عبد الله بن مسعود (١١/ ١٠٢) «الدعوات».

فهرس المراجع

١ - «إحياء علوم الدين»، للغزالي بتحقيق العراقي، ط. الشعب.

٢ - «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، لابن القيم، ط. الحلبي.

٣ - «تحفة الأشراف»، للمزي. عبد الصمد شرف الدين، ط. الدار القيمة بالهند.

٤ - «تفسير القرآن الكريم»، لابن كثير، ط. دار المعرفة ببيروت.

٥ - «تفسير المعوذتين»، لابن القيم، ط. المطبعة السلفية.

٦ - «الترغيب والترهيب»، للمنذري.

٧ - «جامع الأصول»، لابن الأثير بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط. دار الفكر.

٨ - «جامع العلوم الحكم»، لابن رجب، ط. الحلبي.

٩ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم، ط. دار عمر بن الخطاب.

١٠ - «الجواب الكافي»، لابن القيم.

١١ - «رياض الصالحين» للنووي بتحقيق الألباني، ط. المكتب الإسلامي.

١٢ - «الروح» لابن القيم، ط. محمد علي صبيح.

١٣ - «سنن ابن ماجه»، ط. المكتبة العلمية.

١٤ - «سنن الدارمي»، ط. دار الكتب العلمية.

١٥ - «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للألباني.

١٦ - «سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي»، ط. دار الكتب العلمية.

١٧ - «شرح السنة»، للبغوي، بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

١٨ - «صحيح أبي داود»، للألباني، ط. مكتب التربية العربي.

١٩ - «صحيح الترمذي»، للألباني، ط. مكتب التربية العربي.

٢٠ - «صحيح ابن ماجه»، للألباني، ط. مكتب التربية العربي.

٢١ - «صحيح مسلم»، بشرح النووي، ط. المكتبة المصرية.

٢٢- «صحيح النسائي»، للألباني، ط. مكتب التربية العربي.
٢٣- «عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»، لابن العربي، ط. دار الوعي.
٢٤- «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، لابن القيم، زكريا علي يوسف.
٢٥- «عون المعبود بشرح سنن أبي داود»، لشمس الحق أبادي، ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
٢٦- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، لابن حجر، ط. السلفية.
٢٧- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، لنور الدين الهيثمي، ط. دار الكتاب العربي.
٢٨- «مدارج السالكين»، لابن القيم، ط. دار الفكر العربي.
٢٩- «مستدرك الحاكم ومعه تلخيص الذهبي»، ط. دار المعرفة.
٣٠- «مسند أحمد بفهرس الألباني»، ط. المكتب الإسلامي.
٣١- «مشكاة المصابيح»، للتبريزي بتحقيق الألباني، ط. المكتب الإسلامي.
٣٢- «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم، ط. مكتبة السعادة.
٣٣- «موطأ مالك»، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط. الحلبي.
٣٤- «موارد الظمآن في زوائد ابن حبان»، ط. دار الكتب العلمية.
٣٥- «موعظة المؤمنين»، للقاسمي، ط. المكتبة التجارية.
٣٦- «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»، لجماعة من المستشرقين، ط. دار الدعوة.
٣٧- «الوابل الصيب»، لابن القيم، ط. المطبعة السلفية.